اهداف ودوافع السياسة الدينية للمغول

م.م. شعبان فاضل ابراهيم
جامعة دهوك / كلية التربية/ عقرة / قسم التاريخ

أ.د. محمد صالح طيب
جامعة دهوك / كلية الآداب / قسم التاريخ

(قدم للنشر في ٢٠١٨/١١/١ ، قبل للنشر في ٢٠١٩/٣/٥)

ملخص البحث:

حاول الباحث تسليط الضوء على اهداف ودوافع السياسة الدينية للمغول في اوقات السلم التي اتبعوا في ارجاء امبراطوريتهم التي امتدت من الصين الى بلاد الشام ومن سيبيريا الى الهند ,والتي ضمت العديد من الشعوب والامم واقوام مختلفة وكانت لهذه الامم والشعوب اديانها ومعتقداتها, فكان على المغول التعامل مع هذه الاديان واصحابها بسياسة تضمن لهم الاستقرار, وعدم قيام الامم والشعوب بالثورات ضدهم, و لم يكن المغول متعصبين لوثنيتهم ولم يناصروا ديناً على اخر في طول مملكتهم وعرضها, بل ادى تسامحهم الديني وحريتهم للأديان الى ان الاديان نفسها واتباعها لعبوا دوراً هاما في كسبهم وتوجيه سياستهم, جعل جنكيزخان هذه السياسة جزءا من تعامله مع الاخرين وكذلك جعلها في قانونه الياسا, فاصبحت ارثاً وعادت وسياسة سار عليها المغول فيما بعد في دولهم, واصبح من عاداتهم عدم التقيد بدين معين و التعصب لمذهب على حساب مذهب اخر، لكنهم لم يتبعوا شريعة من الشرائع, ولم نعثر على دراسات سابقة تناول هذا الموضوع بشكل مفصل, واستخدم الباحث الوصف التحليلي التاريخي معتمداً على النصوص التاريخية المتوفرة في المصادر والمراجع.

Ames and Motives of Religions Policy the Mongols

Abstract:

The Mongol empire included many religions, peoples, and various nations, among them shamanism, Buddhism, Judaism, Christianity, and Islam. The Mongols had to adopt a clear policy towards these different religions and peoples, especially in times of peace, and primitive shamanism was incapable of providing any spiritual to the Mongols and Mongols recognition of the importance of religion. The Mongols followed the policy of religious freedom with the followers of the other religions, followed by the policy of Genghis Khan and the Yassa law, which stipulated that all religions should be respected impartially and treated the religious men with respect. The Mongols did not fight against religion but fought in order to force people to obey them. Whoever obey them, they would leave him/her even if he/her free was a polytheist or a Christian or a Jew, and whoever did not obey them would be considered as their enemy, even if the person was one of the prophets.

تمهيد

توسعت الدولة المغولية في عهد جنكيزخان واصبحت امبراطورية مترامية الاطراف, وبحسب الاعراف والتقاليد البدوية القديمة اصبحت تلك الدولة بأسرها بارضها و سكانها ملكا مشاعاً للأسرة الحاكمة, لذلك قسم جنكيزخان تلك الامبراطورية بين ابنائه[١], وبعد موته اصبحت الامبراطورية المغولية مقسمة الى اربع امبراطوريات كبيرة هي:

١) الامبراطورية الشرقية(الخانات العظام) , كانت عاصمتها في البداية قراقورم في منغوليا, ثم انتقلت الى بكين, وشملت الامبراطورية بلاد الصين ومنغوليا والتبت وبعض جزر اليابانية وكوريا , وقد ورثها ابناء قوبيلاي خان واحفاده.

٢) الامبراطورية الجغتائية (تركستان), وهي تشمل بلاد تركستان الشرقية والغربية, وقد ورث اراضي تلك الامبراطورية احفاد جغتاي بن جنكيزخان.

٣) الامبراطورية الشمالية ,القبيلة الذهبية (التون اوردو), وشملت مناطق نهر الفولغا وسواحل البحر الاسود الشمالية و بلاد روسيا و بعض اجزاء اوروبا الشرقية, وقد ورث هذه الامبراطورية احفاد جوجي بن جنكيزخان.

٤) الامبراطورية الغربية (الدولة الايلخانية),ضمت بلاد ايران والعراق, وتمتعت بنفوذ قوي في سوريا و اسيا الصغرى, وقد ورث اراضيها ابناء هولاكو واحفاده[٢].

وضمن الدولة كانت توجد ديانات وشعوب واقوام مختلفة, منها الشامانية والبوذية واليهودية والمسيحية و الاسلام , فكان على المغول ان يتخذوا سياسة واضحة تجاه هذه الاديان والشعوب المختلفة, وخاصة في اوقات السلم.

اهداف ودوافع السياسة الدينية للمغول.

من المعلوم ان جنكيزخان كان شامانيا, الا انه لم يكن يتبع أي دين او مذهب بشكل رسمي, وكان بعيدا عن التعصب ,وعن تفضيل امة على امة وترجيحها بعضها على بعض - - - - واختار اولاده واحفاده كل واحداً منهم من الاديان والمذاهب ما يوافق ميله وهواه, فمنهم من دخل الاسلام ومنهم من اعتنق المسيحية, ومنهم من اختار عبادة الاوثان, ومنهم من بقي على عادة ابائه واجداده القديمة[٣], ولما كانت الشامانية البدائية عاجزة عن تقديم أية وحدة روحية للمغول, وكذلك ادراك المغول اهمية العامل الديني, اتبع المغول سياسة التسامح العام (الحرية الدينية) مع معتنقي بقية الاديان, متبعين بذلك سياسة جنكيزخان وقانون الياسا, التي نصت على ان تحترم جميع الاديان دون محاباة, عاملوا رجال الدين باحترام[٤].

ولم يقاتل المغول على دين بل قاتلوا الناس حتى يدخلوا في طاعتهم, فمن دخل في طاعتهم تركوه ودعوه وشانه وان كان مشركا او مسيحيا او يهوديا, ومن لم يدخل في طاعتهم يعتبر عدوهم ولو كان من الانبياء والصالحين[٥], لذلك يمكن القول ان قاعدة المغول في سياستهم الدينية هي ((انه لا يضر اختلاف الملل اذا كان المعبود واحداً, ويرون انه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته؛ اما بطريق الفلسفة والصبوء او بطريق التهود والتنصر))[٦], وما دام الاتباع والرجال يصلون الى السماء, فانهم يستحقون ان يعاملوا بتسامح, لذلك كان المغول يشترطون في بعض الاحيان على ان يصلوا الى السماء كما فعلوا مع احد قادة الصين [٧] ورحب حكام المغول بكل الديانات والجماعات الدينية طالما كانوا يصلون لصالح الحكم المغولي, وكذلك يمكن للجميع ممارسة الشعائر والطقوس الدينية, شريطة ان لا تشكل أي تهديد لهيمنة وحكم المغول[٨], وقد اشار ابن تيمية الى سياسة المغول قائلا : ((من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وان كان كافراً عدوا لله ورسوله, وكل من خرج عن دولة المغول او عليها استحلوا قتاله وان كان من خيار المسلمين – – – ولا ينهون احد من عسكرهم ان يعبد ما شاء من شمس او قمر او غير ذلك))[٩] .

هنالك حقيقة ثابتة والتي تؤكد ان حاجة الانسان الى الدين حاجة ماسة, وهي المحرك الاول للإنسان في اغلب فترات حياته, وتجيب على تساؤلات عديدة تدور بخلده عما يحيط به من ظواهر طبيعية يعجز عقله ان يجد لها تفسيراً[١٠], لذلك استغل المغول وتر الروحانيات فراهنوا على جميع الجياد ليضمنوا عدم الخسارة, ومما عزز هذا السلوك, رغبة خان المغول في ان ينال دعاء جميع رعاياه من اجل دوام عافيته وبقائه, حتى وان اختلفت اديانهم و معتقداتهم, وتحقيقا لذلك الهدف ساير الحكام مراكز الوعظ الديني, واصروا على ابداء حسن النوايا تجاه جميع الاديان[١١] , لذلك ذكر الجويني انه كان في بلاط منكو خان(٦٤٩–٦٥٧هـ/١٢٥١–١٢٥٩م)((شخصان او ثلاثة يديرون امور الائمة والسادات والفقراء والنصارى, واخيار كل ملة من الملل))[١٢] .

وكانت في العاصمة المغولية قراقورم مساجد المسلمين بجانب المعابد البوذية والكنائس المسيحية[١٣],مما يعني ان المغول كانوا منفتحين على معتقدات الاخرين, فعرفوا البوذية بجانب الشامانية, وكذلك الزرادشتية و المانوية ثم المسيحية وتعرفوا على اليهودية والاسلام, وكثر الاختلاط بشعوب عديدة ومعتقدات مختلفة ساعدتهم على الارتقاء بالمفاهيم الدينية, وجعلت فكرهم الديني

في تطور مستمر, وآل بهم المطاف في اخره الى اعتناق اغلب المغول الاسلام[١٤] .

على الرغم من ان قانون المغول الياسا اكد على احترام كافة الاديان والعلماء وعدم التفرقة بين دين واخر, الا انه كذلك كانت تصدر في الكثير من الاحيان مراسيم و فرمانات تبين وتوضح حقوق الاديان واتباعها, وعدم التعرض لهذه الاديان ومعتنقيها, مثل مرسوم ايوربر بيانتو خان الصين سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م) والذي نص على عدم سلب ممتلكات المبشرين والرهبان, وكذلك عدم مصادرة ممتلكات المعابد ودور العبادة, وانه لا يجوز تدميرها, وكل من يفعل ذلك فهو اثم ومتهم, وسوف يتعرض الى القتل, شريطة ان يلتزم رجال الدين بالقوانين, واذا قاموا باي عمل يخالف القوانين فانهم لا ينجون من العقوبات[١٥] .

حملت النقود في العهود المختلفة للمغول شعارات دينية لمختلف الاديان, لانهم كانوا مشغولين في اخضاع الامم ولم يكن لهم القدرة على الغاءها بسهولة لأنها عصب الحياة الاقتصادية والظروف غير مناسبة لتلك التغييرات, وعلى سبيل المثال ان احدى العملات في عهد جنكيزخان التي ضربت في غزنة سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م) كان مكتوب على احد الاوجه (لا اله الا الله محمد رسول الله, الناصر لدين الله امير المؤمنين) والوجه الاخر مكتوب عليها(الخاقان العادل الاعظم جنكيزخان)[١٦], وفي عهد اباقا (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) ضربت نقود تحمل عبارات مسيحية كتبت باللغة العربية وهي (باسم الاب والابن والروح القدس) وكذلك نقشت عليها علامة الصليب[١٧], وكانت التمغه (Tamgha) في عهد منكو خان منقوش عليها نجمة اليهود السداسية[١٨] .

كانت سياسة التسامح الديني وحرية الاديان, في بعض الاحيان تسبب مشاكل واختلافات بين امراء المغول, حيث تذكر المصادر ان السبب الرئيسي لرفض الامير باتو بن جوجي الذي لم يكن يدين بدين, ولا يميل الى اية ملة ولا يعترف باله, ولم يكن متعصبا لاي دين او عقيدة[١٩],تولي كيوك خان العرش (٦٤٤-٦٤٧هـ/ ١٢٤٦- ١٢٤٩م) بسبب عدم مبالاة كيوك بجميع الاديان السماوية التي كانت منتشرة بين المغول في ذلك الوقت , و لإيمانه واخلاصه للشامانية فقط [٢٠] .

اشتهر المغول بفضولهم في سؤال الاجانب عن دياناتهم الا ان ذلك لم يكن بالضرورة يعود الى اعتناقهم اية ديانة[٢١], او فرض معتقدهم او دينهم على الناس, الا ان الراهب كاربيني ذكر ان باتو بن جوجي قتل احد امراء الروس بسبب عدم انحنائه باتجاه الجنوب لجنكيزخان, وكذلك قتل باتو اميرا اخر من امراء الروس بسبب سرقة الخيول, واجبر زوجته على الزواج من اخيه الصغير على

الرغم من رفض المرأة ذلك, لأنه من عادات المغول, واجبر الولد على ممارسة الجنس مع المرأة تحت ضغط كبير[٢٢] , على العكس منه ذكر اليوبني ان هولاكو قام بتعليم احد ابناء الخليفة العباسي المستعصم بالله الآداب الاسلامية, وعلمه دين الاسلام , ولم يدخله في دين المغول, اذ قال هولاكو لاحد الرسل المتوجهين اليه: ((اننا قد اقمنا له من يؤدبه بآداب المسلمين و يعلمه الاسلام, ولم ندخله في دين المغول))[٢٣] .

من الجدير بالذكر ان سياسة التسامح لمعتنقي الديانات بممارسة العبادة بحرية, ينبغي تميزها عن سياسة منح الاعتراف والاعفاءات لرجال الدين, اذ على سبيل المثال ان اليهودية لم تكن محظورة وكان يسمح لهم ممارسة الشعائر الدينية, ولكن نادرا ما كان رجال الدين اليهود معفيين من دفع الضرائب ولم يتم رعايتهم [٢٤], وكذلك لم يعترف المغول برجال الدين الزرادشتيين والمانويين في تركستان, ولم يتعامل جنكيزخان مع الكونفوشيوسية كدين, على الرغم من كل هذا فان المغول لم يضطهدوا اتباع ورجال الدين لمعتنقي تلك الاديان[٢٥] .

لم تطبق سياسة التسامح و حرية الاديان, بصورة دائمة في كل مكان وزمان, اذ ان في بعض الاحيان كان اتباع الديانات يتعرضون للاضطهاد, و بعض الديانات لم تكن معفاة من الضرائب, وكذلك كان في بعض الاحيان يتم حظر بعض الكتب والمذاهب فعلى سبيل المثال كانت الطائفة الاسماعيلية محظورة في عهد منكوخان بسبب مضايقاتهم للناس, وفي سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) حرم نائب الخان في شمال الصين بعض كتابات الطاوية بتأثير من رجال الدين البوذيين[٢٦] .

استفاد معتنقو الاديان الكبرى من سياسة التسامح تلك فاكتسبت الكنيسة الارثوذكسية التي كانت تحت حماية المغول مساحات كبيرة من الاراضي, واصبحت قوية للغاية ليس فقط في الحياة اليومية بل حتى على الصعيد السياسي ايضاً[٢٧], في سنة (٦٦٠هـ /١٢٦١م) تاسست ابرشية جديدة مع اسقفية لها في سراى عاصمة القبيلة الذهبية[٢٨], وفي عهد اسرة يوان المغولية في الصين بنيت كنيسة في بكين, وقام احد الرهبان بتعميد اكثر من (٣٠٠٠٠) شخصا وتعليمهم اللاتينية, وطقوس المسيحية في تلك الكنيسة[٢٩], وعلى الرغم من القتل والدمار الذي لحق بالمسلمين نتيجة غزوات المغول وتوسعهم, الا ان ذلك التوسع ادى الى ازدياد اعداد المسلمين في الصين, علما بان المسلمين كانوا متواجدين في تلك المناطق سابقا, استفاد المسلمون من التسامح الديني لدى المغول, ومن النشاط التجاري, مما اتاح لهم فرصة منافسة الديانات الاخرى, وخاصة البوذية والمسيحية, بل ان الاسلام وحضارته

باتت قادرة على تطويع الجزء الاكبر من المغول بدخولهم للإسلام [٣٠], وكما اثرت البوذية على المغول , وطريقة حكمهم واقتصادهم وحتى طبيعة ملابسهم وطعامهم وعاداتهم الاجتماعية [٣١], ودخل الكثير من المغول في البوذية خاصة في الصين ومنهم الخان قوبيلاي.

من الجدير بالذكر ان اتباع الديانات وممثلو الشعوب المتحضرة كانوا يحيكون الدسائس والمؤامرات لبعضهم البعض في بلاطات خانات وامراء المغول , فعلى سبيل المثال كان قوبيلاي خان (٦٥٧-٦٩٣هـ/ ١٢٥٩-١٢٩٤م) يشدد على المسلمين بسبب تأثير النساطرة و النسطورية عليه [٣٢] , كذلك بسبب التقارب المسيحي والمغولي لم يكن من المعقول ان ينعم اليهود بالراحة والرأفة, وكذلك لم يكن من الممكن تقارب اليهود مع المغول, لان هناك الكثير من المسيحيات في بلاط المغول وهن زوجات قادة المغول, وهؤلاء النساء يكرهون ويحقدون على اليهود[٣٣] .

بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) قام جاثليق المسيحيين بإهانة المسلمين ببغداد, وسكن مواطن الخلافة, وافسد امور المسلمين بها[٣٤],ولم يكن هناك عداء ديني بين البوذيين والمسيحيين - - - الا انه من ناحية اخرى كان هناك عداء من البوذيين والمسيحيين للمسلمين, واغلب الظن ان دوافع كل ذلك العداء لم تكن دينية بقدر ما كان مرجعها الى التنافس من اجل المكاسب التجارية اولاً, ثم من اجل المناصب فيما بعد[٣٥],وان حكام المغول لم يكونوا في واقع الامر سوى ادوات في ايدي اولئك الذين مهروا في الدسائس فيما بينهم, وكان المغول يقفون في معظم الاحيان عند حد تسليم المتهم الى ايدي اعدائه , الامر الذي لم يكن ليخفف بالطبع من هول المصير الذي كان ينتظره[٣٦] .

لم يكن المغول متعصبين لوثنيتهم ولم يناصروا ديناً على اخر في طول مملكتهم وعرضها, بل ادى تسامحهم الديني وحريتهم للأديان الى ان الاديان نفسها واتباعها لعبوا دوراً هاما في كسبهم وتوجيه سياستهم[٣٧], اذ من ينجح في كسبهم الى جانبه والى ديانته سوف تصبح له الغلبة النهائية على غيره, بالإضافة الى انه سوف يكسب شعبا جديداً يضم الى قائمة الشعوب الاخرى التي اعتنقت ديانته مما يدعم موقفه ويزيد من قوته, لذلك اندلع التنافس والصراع بين الاديان الثلاثة البوذية والمسيحية والاسلام من اجل كسب المغول , سواء في قراقورم او في سمرقند او في تبريز وسراي[٣٨], ظفر الاسلام في نهاية المطاف وتفوق على الاديان الاخرى حيث استطاع بواسطة دعاته وعلمائه ان يجذب اولئك الغزاة الى الاسلام, واصبح المغول هم دعاة ومجاهدين للإسلام.

ذهب احد الباحثين المعاصر الى ان حرية الأديان والتسامح الديني عند المغول, لا ترجع الى قناعة تامة لإيمانهم بذلك المبدأ عن علم ودراية, لان التسامح الديني بمعناه الحقيقي لا يتم الا عن اطلاع شامل وتام على مبادى الديانات الاخرى المختلفة, وفهمها فهما عميقا, وكذلك الاحاطة بعقائد تلك الاديان, وهذه الامور تستلزم الكتابة والقراءة , وكيف لجنكيزخان صاحب تلك السياسة (التسامح الديني) ان يطلع على مبادى تلك الديانات بالدراسة الدقيقة والالمام بها, بجانب ان حياتهم البدوية كانت بعيدة عن اسباب الحضارة, ولم تكن الحضارة قد شقت طريقها الى صفوفهم ليجعلهم قادرين على فهم الاديان المختلفة, ومن ثم يرسمون لأنفسهم مثل تلك السياسة الدينية[٣٩] .

لم يكن المغول في بداية امرهم مقتنعين وجديين بممارسة سياسة التسامح, ولكن بعد مرور الزمن جنوا ثمارها, ورأوا نتائجها التي كانت في صالحهم في اغلب الاحيان, وبهذه السياسة استطاع المغول كسب الكثير من اتباع الديانات الى جانبهم, حتى في اوقات الحروب احيانا , اذ وجد في الجيش المغولي الشاماني والبوذي والمسيحي والمسلم, لذلك زاد ايمان المغول بتلك السياسة, وطبقوها ومارسوها في المناطق التي سيطروا عليها على مر فترات حكمهم في الشرق والغرب.

من خلال ذكر بعض اهداف ودوافع تلك السياسة يتبين للباحث لماذا مارس المغول تلك السياسة؟ ويتم توضيح الصورة اكثر, ومن ابرز الاسباب والاهداف والدوافع التي كانت وراء ممارسة المغول سياسة التسامح وحرية الاديان هي:

- كان من عادات المغول والترك عدم التقييد بدين او مذهب او تفضيل امة على امة[٤٠], لذا كانت سياسة التعصب الديني غريبة على المغول[٤١] .
- من اجل الحصول على دعاء وصلوات اصحاب الاديان, اذ جاء في مرسوم ايوربر بيانتو خان ملك اسرة يوان الصينية الصادر في سنة(٧١٤هـ/١٣١٤م) وفي الفقرة الرابعة(ان الرهبان ورجال الدين لا يشملهم اية واجبات وضرائب, ولكن مهمتهم هي الصلوات والدعاء واعطاء الرحمة فقط)[٤٢] .
- اعتقد المغول ان عن طريقة التسامح الديني تمكنهم من الحصول على الدعم من السماء (الله), باعتبار ان الكل يعبد الله بطريقته, لذلك كان قوبيلاي خان(٦٥٧-٦٩٣هـ/١٢٥٩-١٢٩٤م) يقول: ((هناك انبياء اربعة عظام, توقرهم وتعبدهم مختلف طبقات الجنس البشري - - - واني لأقدم التكريم واظهر الاحترام للأربعة

جميعاً, وادعو لنجدتي ايهم كان في السماء هو الاعلى حقاً))[٤٣].

- اعتقد المغول انهم مفوضون من قبل السماء, وان السماء تدعمهم في عمليات الفتح, وانهم يقاتلون من اجل السماء, وان السماء هي التي منحت حرية العبادة والتسامح, وهذا الزعم اعطى المغول روحاً معنوية كبيرة فوق العادة, وخاصة في بدايات تكوين الامبراطورية[٤٤], فهم بتلك السياسة يقومون بتطبيق اوامر السماء.
- للحصول على المعلومات الاستخبارية, عن طريق القوى الدينية و الروحية في العالم, ومن رجال الدين لهذه القوى الروحية والحصول على الدعم من جانب الاديان في اثناء الغزوات , او على الاقل تحييد هذه الاديان.
- عن طريق تلك السياسة سعى المغول الحصول على اكبر قدر ممكن من المعرفة الروحية والسحرية التي يمتلكها اعداءهم .
- سياسة التسامح الديني وحرية الاديان كانت جزء من سياسة تخفيف حدة التوتر بين القبائل والاديان التي مارسها المغول[٤٥] .
- ان التسامح الديني وقبول الاخر يرجع الى التربية الدينية التي تربى عليها المغول, بسبب انتشار مجموعات كبيرة من المعتقدات التي تشابهت في بعض طقوسها, واختلفت في تعاليمها, لذلك كان لزاما على المغول ان يتعايشون مع الاخرين, وان يكون هناك نوع من العولمة الدينية, تستمد قوتها من قبول الاخر[٤٦] .
- كان جنكيزخان وقبيلته يؤمنون بضرورة الدين للامة, ويرون ان كل رجل دين به روح يجب ان تقدر, وان كل الاديان يجب ان تحترم[٤٧]. ولان الشامانية دين المغول,كانت عاجزاً عن تقديم أي مجداً للوحدة الروحية للمغول.
- اجتمعت الاديان الكبرى الاسلام والبوذية والمسيحية وغيرها في منغوليا وتركستان, وكانت هذه الاديان اكثر تحضرا من معتقدات المغول, لذلك وجب التسامح ازاءها[٤٨]. والاستفادة من اتباع الديانات الاخرى في ادارة الدولة, اذ بسبب سياسة التسامح الديني لعب المسلمون دوراً بارزاً في المسائل التجارية والادارية , وكذلك استفاد المغول من تقنيات العسكرية الصينية , حتى ان المغول استخدموا البارود الصيني في الحروب [٤٩].

- رغبة المغول الشديدة في ان يسير الحكم في كل منطقة من مناطق الامبراطورية وفقا لأخلاق اهلها وعاداتهم, لذلك استجلب لبلاط الخان كتبة من مختلف الاديان والشعوب , وكانت الكتب تكتب بلغات شتى[٥٠] .
- للحصول على شرعية الحكم من الاديان, من خلال سياسة التسامح وحرية الاديان[٥١],ومن خلال الشرعية تلك يستطيع المغول السيطرة على اتباع الاديان بسهولة ويسر.
- ممارسة سياسة التسامح الديني يسر على المغول فرض طاعتهم على الناس, واطلعوا على الاديان والطوائف, وكذلك اطلعوا على نقاط الضعف في علاقات افرادها بعضهم ببعض وبغيرهم من الطوائف الاخرى, لذلك استغلوا انقسامات المسلمين المذهبية, واستخدموا بعض رجالاتهم في السيطرة على بعض المدن[٥٢],لذلك وجد في جيش المغول اتباع ديانات شتى.
- بسبب تأثير النساء على المغول , اذ حاولت نساء من الديانة الشامانية والبوذية والمسيحية والاسلام التأثير على المغول لحماية اتباعهم وتعزيز دينهم[٥٣],لذلك كان المغول في الكثير من الاحيان يتعاطفون مع اتباع الديانات إرضاء لأمهاتهم او زوجاتهم .
- يبدو ان المغول حاولوا الاستفادة من التاريخ اذ ان الكثير من الدول عندما مارست الاضطهاد الديني, اصبح تلك الاضطهاد احد اسباب سقوطها, لذلك حاول المغول الا يقعوا في اخطاء من سبقهم من الامم والشعوب.
- وفر المغول من خلال ممارسة تلك السياسة الاستقرار الداخلي واقاموا نوعاً من التوازن بين عناصر السكان وطوائفهم واديانهم, وكذلك وفروا الامن الخارجي للدولة[٥٤] . كذلك ترتب على سياسة التسامح الديني نتائج دبلوماسية بالغة الاهمية, وخاصة فيما يرتبط بالعلاقات مع الغرب[٥٥] .
- كما يبدو الى ان احد اسباب التسامح الديني للمغول والاهتمام به هو ان المغول كانوا يعتبرون تلك السياسة من ارث جنكيزخان وكذلك هو تطبيق لقانون ياسا الذي اكد على حرية الاديان لذلك وجب ممارستها .
- قد يكون الغاية من ممارسة هذه السياسة عند المغول هي عدم زج الدين بالسياسة والحروب, لان زج الدين بالسياسة قد تؤدي الى ظلم بعض اتباع الديانات

والمذاهب, وكذلك تكون الحروب الدينية طويلة الامد, وقاسية في طبعها, وتبقى اثارها حتى بعد قرون من الزمن سواء كانت على الارض, او في النفوس .

الخاتمة

ضمت الامبراطورية المغول العديد من الديانات وشعوب واقوام مختلفة, منها الشامانية والبوذية واليهودية والمسيحية و الاسلام , فكان على المغول ان يتخذوا سياسة واضحة تجاه هذه الاديان والشعوب المختلفة, وخاصة في اوقات السلم, ولما كانت الشامانية البدائية عاجزة عن تقديم أية وحدة روحية للمغول, ادراك المغول اهمية العامل الديني,لذلك اتبع المغول سياسة التسامح العام (الحرية الدينية) مع معتنقي بقية الاديان, اذ وجدت في العاصمة المغولية قراقورم مساجد المسلمين بجانب المعابد البوذية والكنائس المسيحية. كانت قاعدة المغول في سياستهم الدينية هي: ((انه لا يضر اختلاف الملل اذا كان المعبود واحداً ويرون انه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته؛ اما بطريق الفلسفة والصبوء او بطريق التهود والتنصر)) وما دام الاتباع والرجال يصلون الى السماء, فانهم يستحقون ان يعاملوا بتسامح, لذلك كان المغول يشترطون في بعض الاحيان على ان يصلوا الى السماء كما فعلوا مع احد قادة الصين ٠رحب حكام المغول بكل الديانات والجماعات الدينية طالما كانوا يعملون لصالح الحكم المغولي, كذلك يمكن للجميع ممارسة الشعائر والطقوس الدينية, شريطة ان لا تشكل أي تهديد لهيمنة وحكم المغول. متبعين بذلك سياسة جنكيزخان وقانون الياسا, التي نصت على ان تحترم جميع الاديان دون محاباة, عاملوا رجال الدين باحترام, لكن لم تطبق سياسة التسامح و حرية الاديان, بصورة دائمة في كل مكان وزمان, اذ ان في بعض الاحيان كان اتباع الديانات يتعرضون للاضطهاد و بعض الديانات لم تكن معفاة من الضرائب, كما جرى حظر بعض الكتب والمذاهب احياناً .

هوامش

(١) كوبريلى: محمد فؤاد **تاريخ الادب التركي** ,ترجمة عبد الله احمد ابراهيم الغرب , مراجعة, الصفصافي احمد القطوري,(القاهرة, ٢٠١٠م) المركز القومي للترجمة , ص ٣٣٥-٣٣٦ .

(٢) عبد العزيز جنكيزخان , **تركستان قلب اسيا** , من طبع ونشر الجمعية الخيرية التركستانية www.almaktabah.net ,ص ٨٣-٨٤.

(٣) الجويني : علاء الدين عطا ملك ، (ت : ٦٨١ هـ) ,**تاريخ جهانكشاي تاريخ فاتح العالم** . جزء الاول , ترجمة السباعي محمد, تحقيق محمد عبد الوهاب القزويني , (القاهرة , ٢٠٠٧م),المركز القومي للترجمة, ١/ ٦٦ .

(4) DAWSON: CHRISTOPHER, **MISSION TO ASIA**, NARRATIVES AND LETTERS OF THE FRANCISCAN MISSIONARIES IN MONGOLIA AND CHINA IN THE THIRTEENTH AND FOURTEENTH CENTURIES,(NEW YORK1966) Harper & Row, Publishers, Incorporated, p, xxili- xxiv .

(٥) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن الحراني (ت: ٧٢٨هـ) **الفتاوى الكبرى** , (بيروت, ١٩٨٧م), دار الكتب العلمية, , ٣/ ٥٦١-٥٦٢ .

(٦) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن الحراني (ت: ٧٢٨هـ), **الإيمان الأوسط** , تحقيق محمود أبو سن (الرياض, ٢٠٠١م) دار طيبة للنشر , ص ١٨٤ .

(7) Christopher P. Atwood ,**Validation by Holiness or Sovereignty**: Religious Toleration as Political Theology in the Mongol World Empire of the Thirteenth Century, The International History Review, Vol. 26, No. 2 ,Jun., 2004, Published by: Taylor & Francis, Ltd ,p245.

(8) LI TANG , **Mongol Responses to Christianity in China**: A Yuan Dynasty Phenomenon Asia Research Institute, National University of Singapore Mayr-Melnhof Institut für den christlichen Osten Internationales Forschungszentrum Salzburg, Austria , No. 63, April 2006. , p 18.

(٩) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني , مجموع الفتاوى, تحقيق, عبد الرحمن بن محمد بن قاسم,(المدينة المنورة, ١٩٩٥م) , ٢٨/٥٠٥ .

(١٠) ابراهيم محمد علي , **المغول والحضارة الاسلامية** (رحلة المغول من الاستكبار الى الانصهار) (اسكندرية ٢٠١٠م) مؤسسة شباب الجامعة .

, ص ٢٨٢ .

(١١) جورج لاين , **عصر المغول** ,ترجمة تغريد الغضبان ,مراجعة سامر ابو هواش (ابو ظبي, ٢٠١٢م) هيئة ابو ظبي للسياحة والسفر , مشروع كلمة

, ص ٢٥١ .

(١٢) علاء الدين عطا ملك الجويني ، جها نكشاي (في تاريخ منكو قان و هولاكو والاسماعلية), ترجمة محمد السعيد جمال الدين, تحقيق محمد عبد الوهاب القزويني , (القاهرة , ٢٠١٥م) . , ٣/ ٩٢ .

(13) Dawson , mission to Asia , p 190.

(١٤) ابراهيم محمد علي, المغول والحضارة الاسلامية, ص ٣٧٩–٣٨٠ .

(15) Christopher P. Atwood ,Validation by Holiness or Sovereignty ,p 240.

(16) Badarch Nyamaa , The Coins of Mongol Empire and Clan Tamgha of Khans (XIII-XIV) , (Ulaanbaatar Mongolia 2005), published by the Author, pp117-118.

(١٧) امل محمد حلقها ,من تاريخ المغول الازمات الاقتصادية في عصر الدولة الايلخانية , تقديم احمد مختار العبادي (الجيزة:القاهرة/٢٠١٦م) عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , ص ١٢٠ .

(18) Badarch Nyamaa , Op . Cit , p 62.

(١٩) الجويني , جهانكشاي , ١/ ٢٦٨ .

(٢٠) سعاد حسن هادي الطائي ,**اعلام امراء البلاط المغولي** ,دراسة في دورهم العسكري والسياسي والاداري والاقتصادي والعمراني(٦٢٤–٦٧٣ه/١٢٢٧–١٢٧٤م) ,(بغداد, دمشق,٢٠١٤م) دار ومكتبة عدنان ,دار صفحات, ص ٥٧ .

(٢١) بروي: ادوار , **تاريخ الحضارات العام العصور الوسطى** ج٣, باشراف موريس كروزيه ,ترجمة يوسف اسعد داغر و فريد م داغر (بيروت – باريس ١٩٨٦م) منشورات عويدات , الطبعة الثانية, ٣ / ٣٨١ .

(22) Carpine: Giovanni, da Pian del, Archbishop of Antivari, d. 1252 , **The story of the Mongols** whom we call the Tartars **Historia** Mongalorum quos nos Tartaros, translated by Erik Hildinger ,(Boston 1996) BRANDEN PUBLISHING COMPANY, Inc , p 43-44.

(٢٣) اليونيني: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت: ٧٢٦ هـ),**ذيل مرآة الزمان** , بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية (القاهرة , ١٩٩٢ م) دار الكتاب الإسلامي , الطبعة الثانية. , ٢/ ٣٥٩ .

(24) Christopher P. Atwood ,Validation by Holiness or Sovereignty ,p 247.

(25) Atwood: Christopher P. **Encyclopedia of Mongolia and the Mongol Empire**(New York, 2004) Indiana University, Bloomington, VB Hermitage. , p 368.

(26) Christopher P. Atwood ,Validation by Holiness,p 257.

(27) ANIL ÇİÇEK , **THE LEGACY OF GENGHIS KHAN** – THE MONGOL IMPACT ON RUSSIAN HISTORY, POLITICS, ECONOMY, AND CULTURE

INTERNATIONAL JOURNAL OF RUSSIAN STUDIES No. 5/2 July 2016 . ,p 102-103.

(28) Daniel H. Shubin , **A HISTORY OF RUSSIAN CHRISTIANITY**,(New York 2004) by Algora Publishing. ,vol 1,p88.

(29) Dawson , mission to Asia, p 220 .

(٣٠) نعمان محمود جبران ,**محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير** اسباب والنتائج , مجلة دراسات تاريخية , جامعة دمشق , العددان ٣٩–٤٠ , كانون الاول سنة ١٩٩١م, ص ١٥٠ .

(31) Brian Baumann , **By the Power of Eternal Heaven**: The Meaning of Tenggeri to the Government of the Pre Buddhist Mongols, EAST ASIA, No. 35 , 2013 Published by Presses Universit aires de Vincennes,p 278.

(٣٢)برتولد اشبولر, تاريخ المغول در ايران , ترجمه محمود ميرآفتاب ,(تهران,١٣٧٤) , ص ٢٠٦ .

(٣٣) حبيب لؤي , **تاريخ يهود ايران** , جلد سوم از زمان سلطان سنجر تا عصر كنونى سلطنت فرخنده ,(تهران ١٩٦٠م), كتاب فروشى بروخيم, ٧٦/٣ .

(٣٤) ابن عبد الظاهر: محي الدين عبد الله بن رشيد الدين (ت٦٩٢هـ) ,**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**, تحقيق ,عبد العزيز الخويطر (الرياض ,١٩٧٦م) دون دار النشر . , ص ٤٢١–٤٢٢ .

(٣٥) بارتولد : فاسيلي فلاديميروفتش ,**تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي** , ترجمة من الروسية صلاح الدين عثمان هاشم,(كويت,١٩٨١م) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, ص ٥٥٧–٥٥٨ .

(٣٦) المرجع السابق,٦٧٣ .

(٣٧) هنداوي: محمد موسى , **سعدي الشيرازي شاعر الانسانية** ,(القاهرة ١٩٥١م) ,مكتبة الخانجي, ص٥٩ .

(٣٨) رجب محمد عبد الحليم **,انتشار الاسلام بين المغول** ,(القاهرة ١٩٨٦م) دار النهضة العربية , ص٢٧ .

(٣٩) عبد علي ياسين, **العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦–٧٣٦هـ** , رسالة دكتورا قدمت الى مجلس كلية اللغة العربية , قسم الدراسات العليا , جامعة الازهر, سنة ١٩٧٨م , ص ٥١١ .

(٤٠) الجويني ,جهانكشاي , /٦٦ ؛ العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ),**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** (أبو ظبي, ٢٠٠٢م) المجمع الثقافي, ١٠٥/٣–١٠٦؛ الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ), **فوات الوفيات** , تحقيق إحسان عباس (بيروت الجزء: ١ – ١٩٧٣, الجزء: ٢، ٣، ٤– ١٩٧٤) دار صادر,٢٤٠/٤ .

(41) Asimov: Editors: M. S. and C. E. Boswort**, History of Civilizations of Central Asia ,** The age of achievement: A.D. 750 to the end of the fifteenth century, Volume IV Part One (France 1998) Multiple History Series UNESCO Publishing, Printed by Imprimerie Darantiere, 21800 Quétigny ,vol 1, p261,

(42) Christopher , Validation by Holiness or Sovereignty, p 240.

(٤٣) بولو: ماركو (**ت : ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م**) **,رحلات ماركو بولو**,ترجمة : الى الانكليزية وليم مارسدن , ترجمة الى العربية عبد العزيز جاويد,(القاهرة ,١٩٩٥) , الهيئة المصرية العامة للكتاب , الطبعة الثانية, ٢/١٨–١٩ .

(٤٤) كوشه: فيض اله بوشاسب و علي بهادرى ,**مسيحيت ومسيحيان در روذطار نامسلمانى ايلخانان مغول در ايران**, مجلة ثذوهش نامة تاريخ , سال هشتم , شمارة 30، بهار ١٣٩٢, ص٣٠ .

(45) Michael L. Walter , **Buddhism and Empire The Political and Religious Culture of Early Tibet**, (LEIDEN• BOSTON2009) Martinus Nijhoff Publishers and VSP , p 9.

(٤٦)ابراهيم محمد علي, المغول والحضارة الاسلامية ,ص ٢٩٩ .

(٤٧) عبد الجليل عبده شلبي , معركة التبشير والاسلام حركات التبشير والاسلام في اسيا وافريقيا واوروبا (القاهرة ,١٩٨٩م) مؤسسة الخليج العربي , ص٦٣ .

(48) Dawson , mission to Asia , p xxiii-xxiv .

(49) *m . S. Asimovt* ,History of Civilizations of Central Asia ,vol4, p259.

(٥٠) بارتولد , تركستان , ص ٦٨٧ .

(51) Brian Baumann , By the Power of Eternal Heaven ,p 269.

(٥٢) عبد علي ياسين, العراق في عهد المغول الايلخانين , ص ٤٥٣ .

(٥٣) برتولد اشبولر , **تاريخ مغول در ايران** سياست، حكومت و فرهنگ دوره ايلخانان , ترجمه محمود ميرآفتاب,(تهران , ١٣٧٤) ,شركت انتشارات علمى و فرهنگى , ص ٢٠٧ .

(٥٤) رجب محمد عبد الحليم , انتشار الاسلام بين المغول , ص ٥٨ .

(٥٥) باز العريني , **المغول** ,(بيروت ,١٩٨٦م) دار النهضة , ص ١١٩ .